منتهي الصلاحية

محمد عبد السميع

منتهي الصلاحية / قصص

محمد عبد السميع

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة – ١ش المعهد الديني – المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ – ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

ياسر خاطر

تدقيق لغوي:

محمد عبد العاطي

رقم الإيداع:٢٠٠٩/٧٢٣٤

I.S.B.N: 978-977-6297-84-5

منتهي الصلاحية

قصص

محمد عبد السميع

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع

" أتمني ألا أموت قبل أن تصل رسالتي للناس،

أو علي الأقل قبل أن أعرف ما هي."

محمد عفيفي

" قوليلي ازاي أحبك حب يرضيكي

أنا تايه ونفسي أوصل أراضيكي"

أشرف توفيق



قبل الكلمات

أنتِ

قررت أن أكتبكِ قصة، لا أعرف حقًا كيف يمكنني البدء فيها أو ما الذي يمكن أن أكتبه بداخلها، فكرت كثيرًا أن أكتب قصة رمزية تحتمل أكثر من معني ولا تعرضني للحرج من موقف محدد وثابت.. وفكرت أن أكتب قصة رومانسية لا تتناسب مع محتوي المجموعة كي تكوني أنتِ المميزة علي طول هذه المجموعة وعرضها..

انتويت حقًا أن أكتبك إهداء أو أكتبك معي... انتويت أمورًا كثيرًا، لكني لم أستطع إلا أن أكتب ما ترينه الآن بين يديكِ..

أنا من تم إعادة تأهيله علي يديكِ، من يري فيكِ أجمل النساء وأرقهم.. من يراكِ أنتِ دون غيرك ولا تقدر أنثي أخري علي ملأ مكانك في قلبه..

أنا من يهديكِ ماضيه السيئ وحاضره الغير مفهوم ومستقبله الغامض، ويفترشهم تحت قدميكِ علكِ تقبليه.. أنا من لا

يعرف كيف ينطق كلمات الحب و لم يستخدمها بحياتــه مـــن قبل.. أنا من يدق قلبه بعنف حين يراكِ، من يغار عليكِ حـــتى من كلماتك.

من يعرف أن ما يكتبه الآن ربما لا يصلح لكونه قصة جيدة ولكنه يعبر بها عن مشاعر لم يستطع النطق بها.. لا يهمني رأي الناس إن أشادوا بها أو قالوا أنها لا تصلح للأدب في شـــيء.. يكفيني أنها تعبر عما لا أستطيع قوله..

سأظل مخلصًا هكذا.. دومًا.

ما قبل الحلم

لكم جميعًا كتابي هذا.

لأبي وأمي وأخوتي (عمرو، إيمان، دعاء) ولروح صديقي حمادة معوض رحمه الله.

أستاذي وأخي الأكبر أحمد خالد توفيق..

لأساتذتي: نبيل فاروق، نجيب محفوظ، إبراهيم الكوني، رضوى عاشور، سحر الموجي، بسام الشماع

لرفاق العمر: أحمد معوض، عماد حمدي، تامر المغاوري، علاء نصر، كمال المغاوري.

رفقاء الحلم

أنتم كتابي هذا

محمد الدسوقي رب أخ لم تلده أمك.

مروة الموافي بعض الأشخاص لا تسعفنا الكلمات في الحديث عنهم.

شادي عبد العزيز صديقي العزيز.

سارة يوسف، تامر فتحي، أحمد صبري، حسام عبد الباسط، حسام دياب، عمرو عز الدين، مهند محمود، إيهاب عمر، ياسر خاطر، محمد عبد العاطي، أشرف توفيق، هاجر فاروق، علياء بسيوني، رنا أشرف، آية عبدالحكيم.

كل شخص منكم له بصمة ما في كتابي هذا..

ما قبل وما بعد

لك أنت يا من تمسك هذا الكتاب بيديك عسي ألا
تنتهي صلاحيتك، ولـ محمد عبد السميع عسي ألا
تكون
منتهي الصلاحية.

شرنقة قابلة للانفجار



- "علي الطلاق بالتلاتة لانت شارب حاجة.... عيب يا أستاذ إحنا بنفهم في الأصول".

ساعد صوته المشروخ مع وجهه الذي أكسبه الزمن أخاديد وقسوة على إضفاء الرهبة المناسبة، التي جعلتني أهيب رفض طلبه؛ نظرت له ثم أشرت برأسي بالموافقة.

استرسل عم سيد الطحان - وهو يكمل تبييض الأرز الخاص بي – في حكايته قائلًا:

-"تعرف يا أستاذ، زمان وأنا عيل صغير كنت أقعد على الجسر، أشوف أبويا هو والزجالين اللي زيه قاعدين يقولوا شعر فوري كده، وكل واحد يكمل من آخر حتة قالها اللي قبله، وبعد كده يقوموا يروحوا بعد ما تكون الحاجة بسيمة عدت عليهم الاصطباحة والشاي".

توقف عن السرد قليلًا ليزدرد ريقه، ثم تركني ليفتح أحد الأجولة، ويفرغه في طرف الماكينة استعدادًا لإعطائه دورته، الأرز الذي يدخل كالعسل فيخرج كاللبن.

عاد إلي مكانه قائلًا لي:

- "إحنا وقفنا فين؟... آه! تصدق بالله يا أستاذ، لو حد كان كتب وراهم اللي بيقولوه لكان زمانه ملا مجلدات دلوقتي، أهو أني بقي ورثت المهنتين دول عن أبويا.... طحان وزجال".

أخذ يضحك قليلًا، وصوت ضحكته المشروخة - بفعل شرب "المعسل" - يخترق أذني. ساعدته في سحب جوال الأرز الأبيض الذي خرج، ووضع هو جوالًا فارغًا آخر لاستقبال الكمية الجديدة.

- "تعرف يا أستاذ، أنا مثقف زى حضرتك تمام، بس أنا متثقف ثقافة تانية.. أنا ثقافتي ثقافة حياة.. عندي خبرة بالحياة واللي فيها. تعرف، أني في مهنتي دي باقابل كل الناس، من أول الباشوات اللي بيحولي بالعربيات السبعة متر ومعاهم اشولة الرز، والأساتذة اللي زيك برضه، لحد الشحاتين واللي مش لاقين ياكلوا، تعرف يا أستاذ، كلهم زى بعض.. بيدوروا علي الأكل".

أخذ يضحك مرة أخري وضحكته المشروخة تؤلم أذني. نظر لي قائلًا:

- "تعرف، أني يوم ما أبويا مات لقيت نفسي عمال أقـول زجل وأقول زجل، أصله كان بيحب الزجل قوي.. قبل مـا يموت وصاني على أخويا (عرفة) وقال لي: أخوك (عرفة) يـا (سيد) تشيله في نن عنيك، أخوك دلوقتي مالوش لا أم ولا أب، إنت اللي فاضل له يا (سيد).. عشان كده يوم ما جه (عرفـة) وخد مكنة طحين القمح وساب لي مكنة تبيـيض الـرز مـا اتكلمتش وسبته يبني سور ما بيننا.. وأهي ماشية".

نظرة حزن تجلت في عيني عم (سيد) قليلًا، وما لبثـت أن اختفت تحت طن الهموم التي على وجهه لتضم تجعيدة أخـرى على لوحة وجهه المنقوشة ببراعة؛ سألته:

- "أنت مبسوط يا عم (سيد)؟".

مرة أخرى تألمت أذني من صوت ضحكته..

- "هي دي الحياة يا أستاذ.. ماحدش راضي بحاله، ولا حد مبسوط، عاوزني أضحك عليك زي كل اللي قبلي وأقولـك أهي ماشية يا أستاذ والحمد لله؟ بس أنا مش هاضحك عليـك يا أستاذ، وهاقول لك أنا راضي جدًا بحيـاتي دي، ونفـسي أموت وأنا كده واقف على رجلي، وقادر أعيّش أهل بيتي".

صمت قليلًا ثم استطرد:

– "يا سلام يا أستاذ! أحلي حاجة لما باروّح البيت مهدود، ألاقي أم (محمد) – (محمد) دا ابني البكري اللي دخـــل كليـــة الطب – يا سلام لما أروّح كده ألاقيها محـــضرة لي العـــشا.. إنشالله حتة جبنة وجرجير.. يا سلام.. رضا! ولّا الواد (محمد) لما يرجع من كلية الطب كده، بابقي مبسوط قوي وهو جاي لي بيشيل معايا اشولة الرز.. أصيل أوي الواد محمد ده! أفضل أقول له "عيب يا دكتور" وأنا من جوايا باتنطط من الفرحـــة! هاعوز إيه تاني من الدنيا يا أستاذ؟ لو مابقيتش سعيد د يبقـــى بطر بعيد عنك.. والبطر وحش قوي".

نظرتُ في وجه عم (سيد) لأجده قد ذهب ليجـــر آخـــر أجولة الأرز الأبيض ويضعها بجوار بعضها ثم ينـــادي ســـائق العربة "الكارو".. جريت لأحمل معهما. حينما ذهبـــت إليـــه لأعطيه أجره قال لي:

– "توكل على الله يا أستاذ.. عيب! ده إحنا بيننـــا وبـــين بعض عيش وملح دلوقتي".

من أجل عينيكِ يا (ميدوسا)



ميدوسا... عزيزتي، مازلت أنتظركِ بمكاني هذا منذ آخر مرة رأيتكِ فيها..

مازلت أتذكر كيف بحثت عنكِ طويلًا، عشقتكِ دون أن أراكِ..

كنت أعلم أنكِ لا تريدين ما تفعلينه، لكنكِ مجبرة على فعله.

سمعت عنكِ الأقاويل.. شرّكِ اللامحدود، قسوتكِ اللامتناهية، لكنَي أعلم أن هذا خطأ.. كنت أعشقكِ لأنِي أدرك حكايتك.

أعلم أنهم طاردوكِ، أرادوا أن يقتلوكِ، لم يروا ما بداخلكِ؛ لذا استحقوا جميعًا ما حدث لهم.

أتذكركِ يا (ميدوسا) وأتذكر أول مرة رأيتكِ فيها، حينما حط حلمي على شاطئ جزيرة حلمكِ، حينما تسللت لأراكِ وأنتِ تستحمين في نهركِ الخاص.

سمعت عن قبحك، ولكني رأيت أمامي عذراء فاتنة هـــزت قلبي.

سرحت في شلال شعركِ الأسود الذي ينبت من رأســكِ كليل هيم لم يفقد عذريته بعد.

ابتسمتُ حينما تواريتِ مني خجلًا، وحمرة وجنتيكِ تغـــزو بشرتكِ البيضاء المحلاة، لكن عينيكِ ظلتا مغمضتين.. لم تـــريني إياهما.. ظللت أتلصص كي أراهما لكنكِ لم تقبلي.. أخـــبرتني أنكِ تنتظرينني منذ أمد بعيد.. أنني الوحيد الـــذي رآكِ علـــى حقيقتك. عشقتكِ دون أن أراكِ، زالت عنـــكِ اللعنـــة الـــتي استبدت بكِ لأن العشق يستطيع كسر كل الحواجز.. أخبرتني أن لعنتكِ زالت من عيني أنا فقط لأني من عشقكِ، وأن الفتاة الجميلة التي عشقتُها مازالت في أعين كل البشر تحمـــل وجـــه العجوز القبيحة، وأن شلال الليل الذي يتدفق من رأسكِ مازال في أعينهم ثعابين قبيحة تتلوي.. أن عينيكِ الجميلـــتين اللـــتين تدارينهما عني تستطيعان تجميد أي مخلوق.

ظللتِ تبتعدين وأنا أقترب منكِ، حتى فاجأتُكِ ونظرت إلى عينيكِ.. وكانتا أجمل وآخر ما وقعت عليه عيناي.

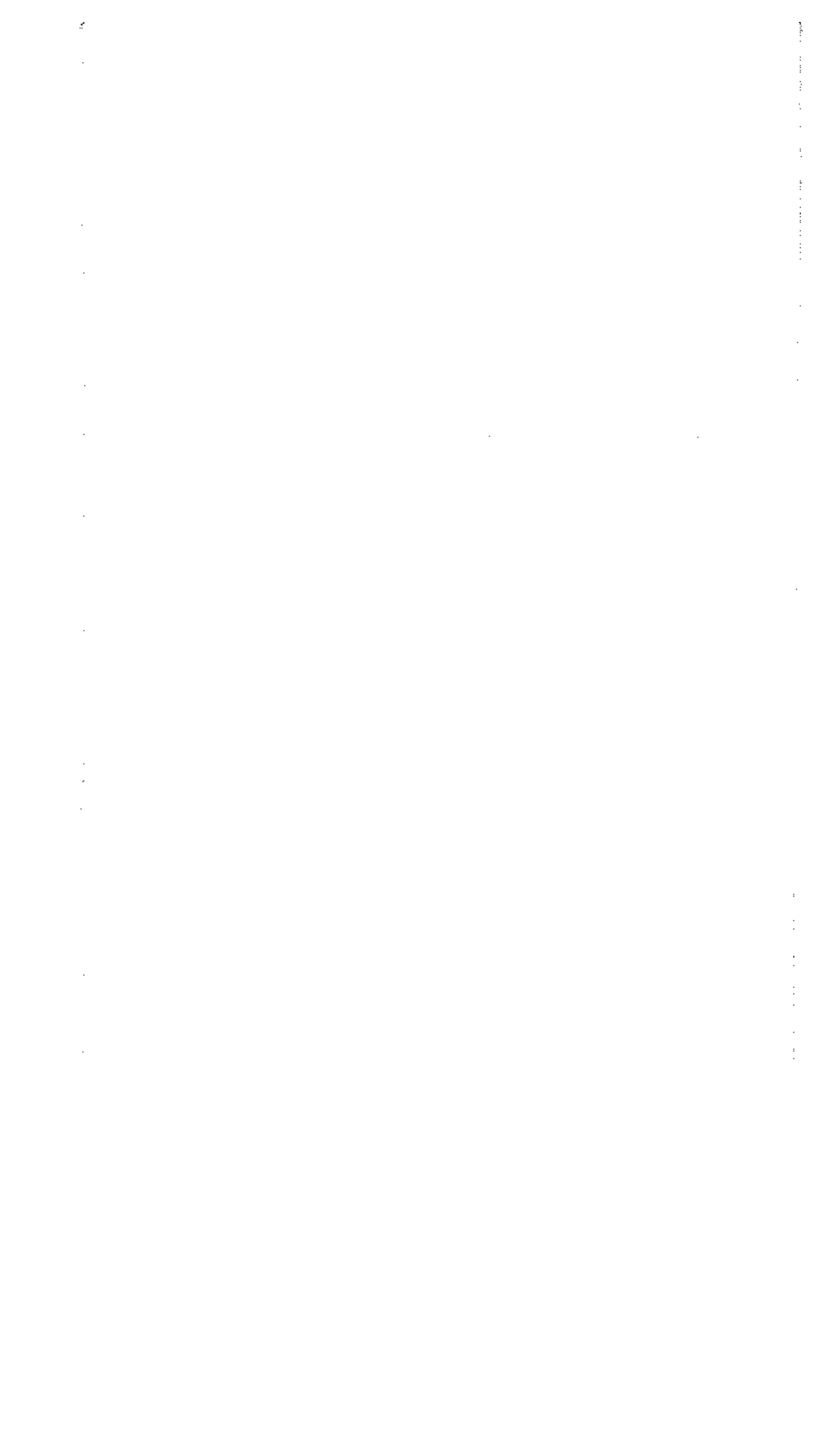
سمعت صراخكِ وأنا بمكاني.. صرختكِ الملتاعة عليّ.. أعلم أنكِ تعشقينني ولكني لست نادمًا على اختياري؛ فقد رأيت عينيكِ ويكفيني هذا.. كل ما كنت أريده أن أطيل النظر فيهما.

أنا – وقد تحولت إلى هذا التمثال – كنت أراكِ وأنتِ تمرين أمامي.. تقتربين وتمرين بيديكِ على جسدي الصخري الصلب.. تقربين عينيكِ مني.. تعلمين أني أشعر بكِ.. أراكِ وما أمتعها من أيام!.. حتى اختفيتِ وبقيتُ هنا أنتظرك.. مهما مرت عليّ الشموس فلن أمل انتظاركِ؛ لأني أريد أن أحظى بنظرات من عينيكِ...

من عينيكِ أنتِ يا ميدوسا...




(Game over)



(١)

تصدح تلك الأغنية التي لا يميز صوت مغنيها، بينما بحثه عن ذلك الشيء مستمر.. يشعر بحركة ما، يتحرك نحو مصدرها، يقفز، الشيء يلوذ بالفرار.

يجلس ليلتقط أنفاسه قليلًا، يسمع جزءا من الأغنية:

"باللي بتسأل عن الحياة خدها كده زي ما هيّ.. فيها ابتسامة وفيها آه فيها قسيّة وحنيّة"..

(٢)

تبدو على وجهه علامات التفكير، يراقب أنحاء الحجرة كافة، تلك الورقة التي يحركها الهواء، تلفت انتباهه حركتها المنتظمة. يتحرك بهدوء شديد يقترب منها ببطء..

-"أمسكت بكِ أخيرًا!".

يغلف ذلك الشيء، يسقطه في إناء زجاجي، يغلق الغطـــاء.
يجلس بهدوء، يواصل الاستماع:

"الدنيا ريشة في هوا، طايرة من غـــير جنـــاحين، واحنـــا النهاردة سوا، وبكرة هنكون فين.. في الدنيا.. في الدنيا..؟".

(٣)

في يوم ما وعده الحكيم أن الحياة ربما تبعث له عما قريـــب روحه مرة أخرى، طال انتظاره في هذا المكان القذر.

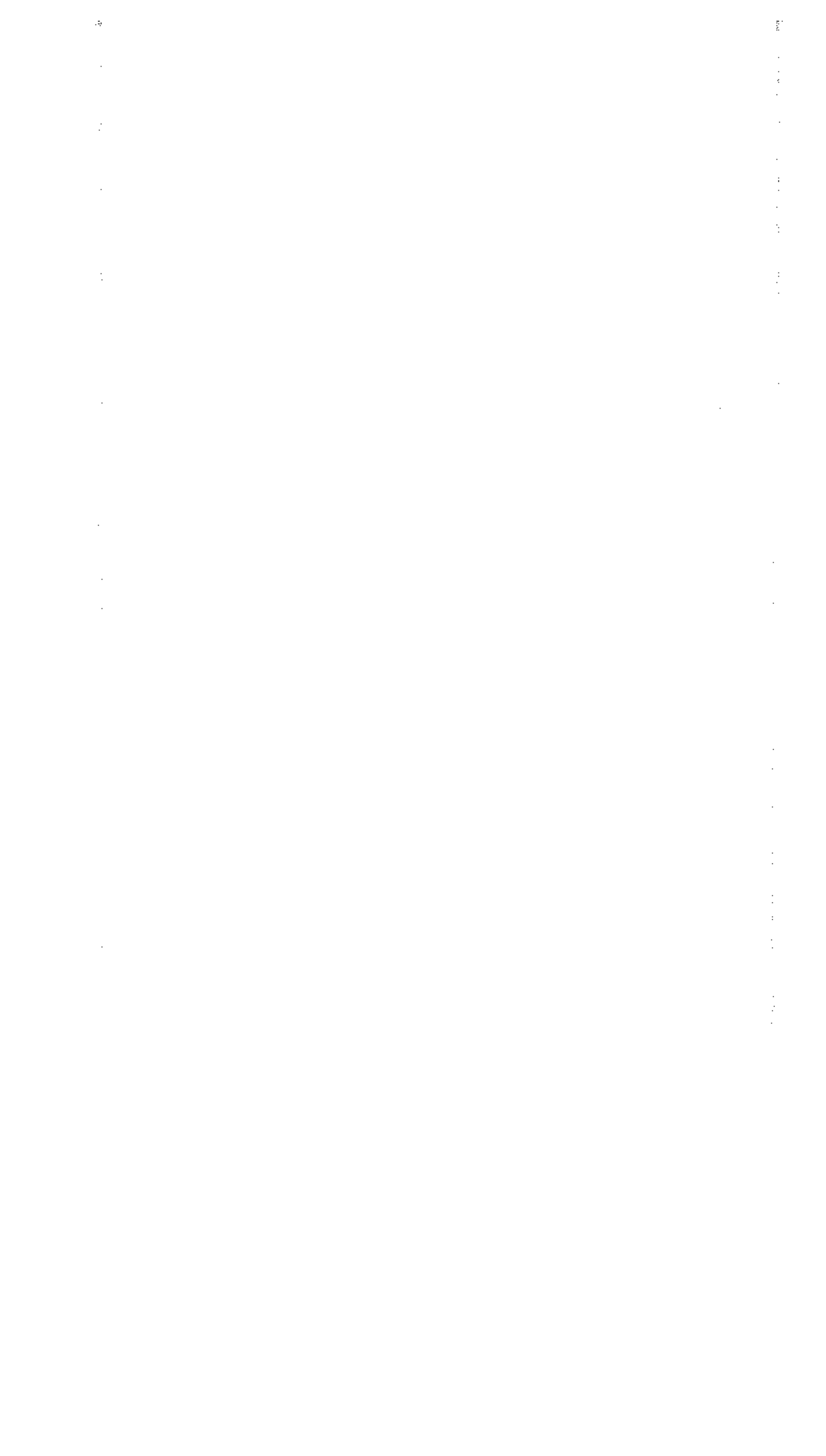
(٤)

أفاق على صوت تحطم المرطبان إثر وقوعه.. الشيء يهرب!
-"أنت من جنيت على نفسك، سوف أقتلك".

يجري نحوه، يقف أمامه، ترتفع قدمه وبقوة شديدة تهـــوي لتسحق ذلك الشيء، يضغط بقدمه أكثر ويفركهـــا بـــالأرض ليتأكد من سحقه.

يرفع قدمه.. يكتشف أنه سحق نفسه.

في انتظار منقذ آخر الزمان



محاولته الرابعة للانتحار فشلت هي الأخرى، هل هو الخوف أم سوء الحظ الذي يأبى تركه؟.. في محاولة أخيرة للاكتـــشاف قرر أن يجرب للمرة الخامسة.

غافل والدته وخرج، ذهب لأبعد مكان يمكن لقدميه إيصاله له، على تلك الحافة وحده يجلس.. وحيدًا..

بادره بالسؤال:

- "من أنت؟".

لا إجابة.. لم يلتفت له صاحب الظل الجالس والغـــارق في ظلامه. تجرأ قليلًا وذهب إلي مكان جلوسه ليطالع وجهه الشبيه بوجه العديد من البشر، كرر السؤال:

- "من أنت؟".

- "أنا المنقذ".

إجابة سخيفة.. أضاع وقته ليجد في النهاية هذه الإجابـــة. تركه وبدأ تقييم الحافة، لن يثنيه أحد عن الانتحار هذه المـــرة، حتى هذا السخيف الجالس بالقرب منه.

- "هل تعلم..؟".

جاءه الصوت من خلفه لينتفض، صوت الضحكات يثيره.. قال له الجالس الذي لم يتحرك:

- "كل مرة أنقذك فيها من الموت أظن أنها المرة الأخـــيرة، لكنك تعود!".

أثارت الكلمات انتباهه..

- "ومن أنت حتى تنقذني؟ لم لا تدعني؟!".

- "إنها مهنتي يا فتى، ألم أخبرك من قبل؟.. أنا المنقذ! لكن أتدرك أني سئمت إنقاذك؟.. هناك العديد والعديد من البـــشر المحتاجين لإنقاذ غيرك، وأنا أضيع وقتي معك، لذا.. لن أنقـــذك هذه المرة!".

صمت.. ثم عاد لمتابعة ما كان يفعله في اللاشيء.

لم يعد يعرف ماذا يفعل.. هل يكمل ما قـــدم لأجلـــه أم يعود؟.. تراها تلك اللعبة النفسية حتى لا ينتحر، أم أنه سيتركه حقًا ليواجه مصير الموت؟ ثم من هذا؟ ولم ينقذه؟ لـــو تركـــه يموت منذ المرة الأولي لما واجه هذه الحيرة الآن.

- "كيف عرفت أني أنوي الانتحار الآن؟ وكيف أنقـــذتني من قبل؟ من أنت حقًا؟!".

- "أنا أنتظر شخصًا ما، ربما يأتي وربما لا.. وقد أخبرتـــك من قبل أن مهنتي هي الإنقاذ".

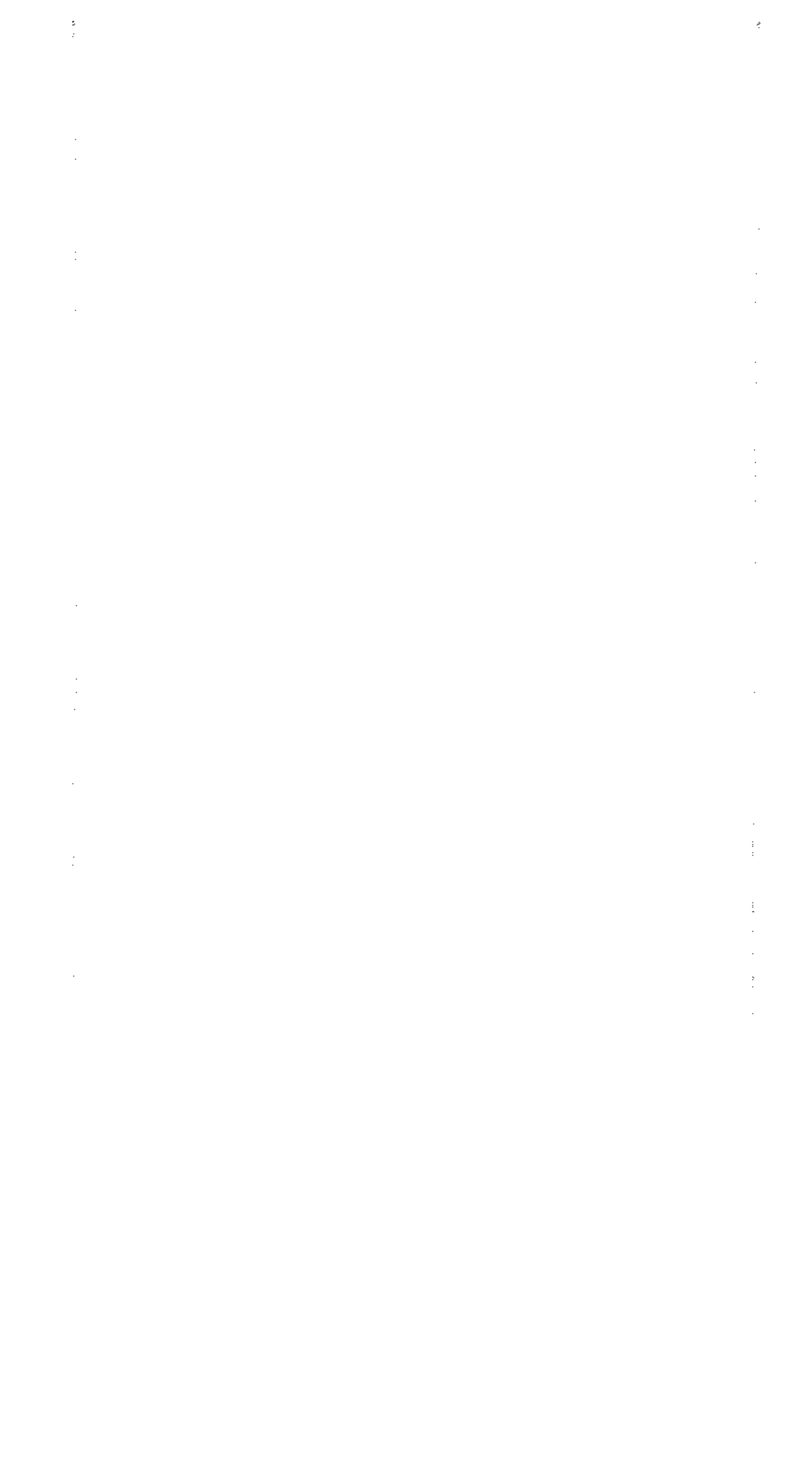
أحمق أنا لأسمع هذا الهراء! سأكمل ما انتويـــت.. ســـأقفز لأترك تلك الحياة البائسة.. هكذا عاد للخلف قليلًا..

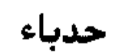
- "كما أخبرتك، لن أنقذك هذه المرة".

لم يعر كلامه انتباهًا، جرى بأقصى ما يستطيع و.. قفز.

تحرك الظل الغارق في الظلام لأول مرة منذ بدء الليلة ونظر إلي تلك الجثة البعيدة والتي استنتج أنها محطمة تمامًا..

ومضى في طريقه.




حدباء



بعد اصطدام حدها بحلق الباب، افترشت الأرض وتساقطت حبات اليوسفي من الكيس الذي تحمله حول العربة.

عاونها بعض السائقين والقليل من رواد الموقف، جمع أحدهم حبات اليوسفي ثم قشَّر واحدة والتهم نصفها مرة واحدة.. تلمح في أعينهم مزيجًا عجيبًا من الشفقة والسخرية؛ لذا دخلت العربة مرة أخري لتجلس على الكرسي الأخير، تتمنى لو اختفت.

ركاب العربة القلائل يختلسون النظر، يتهامس بعضهم، تريد أن تصرخ في وجوههم جميعًا، لكنها لا تقدر.

لم يرد أحد ممن صعدوا العربة أن يركب بجوارها، حتى ذلك الشاب الذي جلس بجوارها نظر لها ثم أمسك هاتفه ووضعه على أذنه وخرج.

سمعت صوت الشجار بين السائق وزميله:

- "ياعم قلت لك متحمّلش ألا لما أحمّل أنا الأول".

- "وأنا مالي ياعمونا الناس واقفة على الأرض.. أسيبهم يعني؟ وبعدين ما تترّلها وتريّح دماغك".

يتحرك السائق نحو العربة:

- "يا تشيلي الكرسيين يا حاجة يا تترلي، عاوزين نطلع بقى في يومنا النحس ده".

لا يدري الأحمق أنها لم تتعد الثلاثين بعد، لا يدري أنها تركت الحياة بسبب أمثالهم من التافهين، رفعت رأسها وهي تنوي أن تسبه، ليخرج صوتها الرقيق الذي لا يتناسب مع شكلها:

- "خلاص مش مشكلة، هشيل أنا الكرسيين".

وضعت كيس اليوسفي بجوارها وأخرجت أولى الحبات وبدأت ترمي القشر والبذور على حدب كل شخص بالعربة.

عينا المهرج



سألَتني لماذا تبدو عينا المهرج حزينتين هكذا؟!

نظرت لها قليلًا وأنا أفكر في سؤالها، ثم أشحت بوجهي.

اقتربَ مني ليقوم بتلك الحركات المفتعلة، وصوت ضحكاتها بجواري يقتلني.

أقتفي أثره بحجرتي العلوية لأبحث عن أثر جواب لذلك السؤال، أشد أوتار قلبي على تلك الآلة الوترية التي أعزف عليها دومًا لتخرج تلك المقطوعات الرديئة.

دوما تخبرني أني عازف جيد، ولكني أحتاج لإرادة ليظهر هذا للناس، دوما ما أهز رأسي دون إجابة واضحة.

مازلت أشحذ عقلي للبحث عن إجابة لهذا السؤال، أنظر لأدوات الزينة الملقاة بإهمال في ركن الحجرة، أتجه نحوها وأبدأ في الرسم على وجهي، أمام المرآة أنظر إلي وجهي لأعرف.

فطنت فجأة إلى السر، أمسك بتلك الخرقة البالية أحـــاول جاهداً أن أزيل أثر تلك الألوان عن وجهي ولكنها صارت هي وجهي.

وهي تضحك أمامي من حركات أقوم بها، وتلك النظـــرة الشاردة بعينيها، التي تبحث عمن يرشدها. أتجه نحوها لأهمس بأذنها بأني عرفت السر، تخبرني أنها فطنت لذلك السر منذ أمد بعيد وغادرتني.

تتساقط الألوان من وجهي ومعها ذلك الغشاء الذي يداري جمجمة ما، لا أدري من صاحبها.

لم يتبق سوى عظام وعينين صارتا ضاحكتين علـــى وجــــه صار أكثر حزنًا.


سراب



(١)

نظر وراءه، لم يجد شيئًا.. لذا أكمل طريقه خلفه.

(٢)

محاولاته للمنع فشلت... لذا قرر أن يحاول مرة أخرى بعد موته.

(٣)

قبيل موته طلب منها أن ترقص، لكنها تمنعت متحججة بكبر سنها.

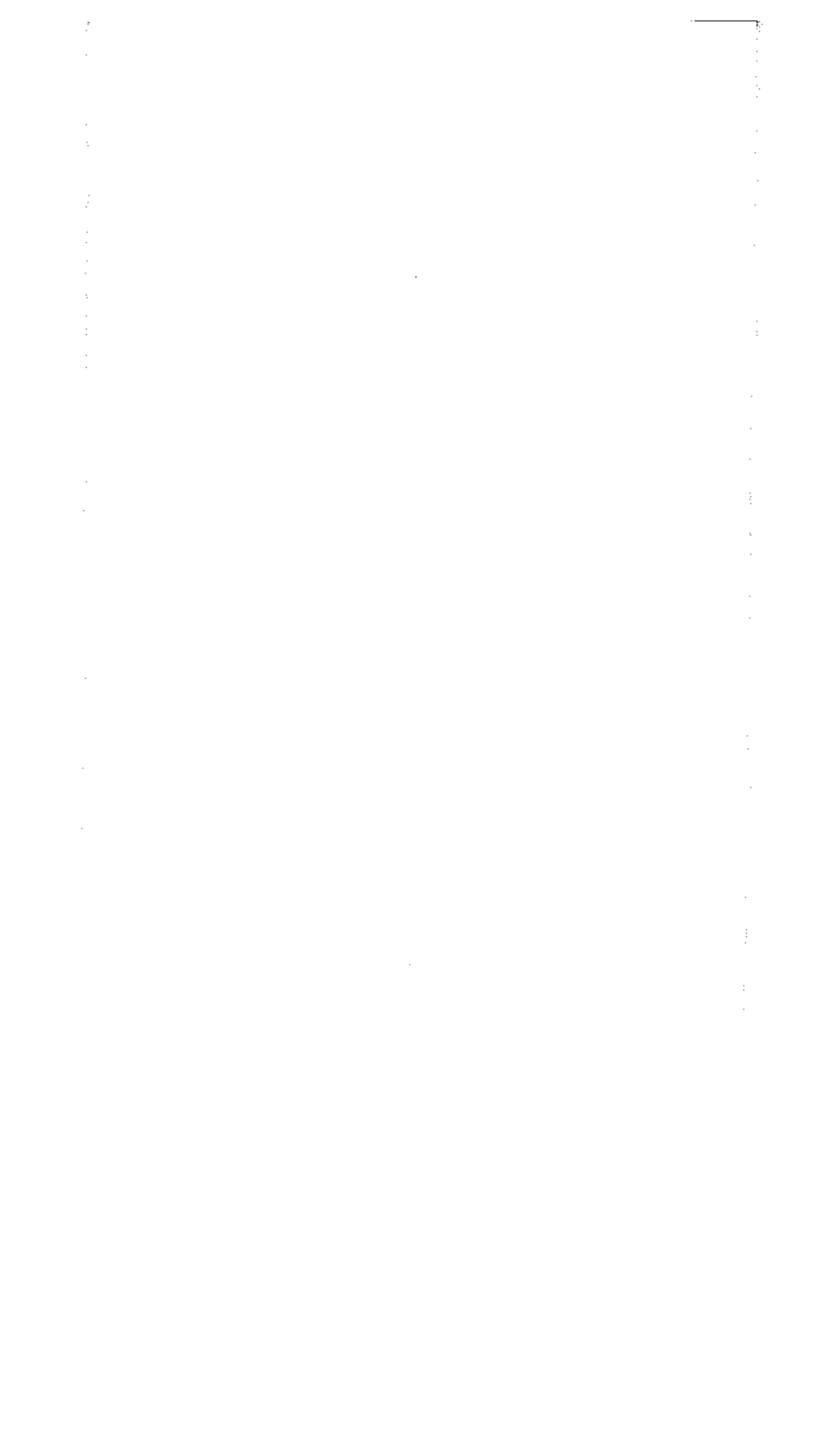
(٤)

بعد موته تزوجت من أعز أصدقائه..، لكنه سرعان ما مات.

(٥)

....

الخامسة عشرة



دومًا ما أصل متأخرة... الخامسة عشرة، هذا هو ترتيبي. يصلن قبلي يتناقشن ويتباحثن، ولا أدري سر اختيارهن لهذا الشارع المقفر دومًا.

لا يهم تأخري فهن لا يكترثن لما أقول، يعلمن أني سأوافق على ما يقلن.

أشعر بحركة ما هناك أسفل تلك السيارة التي تقف بجانب الطريق؛ منذ أن اتخذنا هذا الشارع مكانًا لاجتماعنا وهي واقفة هكذا.

اليوم فقط شعرت بهذه الحركة، لم ينتبهن لأنهن منتبهات أكثر مع السوداء التي تقف على المنصة وتخبرهم بما يجب عليهن فعله، أتجه نحو السيارة أحمش بأصابعي أسفلها أبحث عن شيء

ما، أسمع صوت جدال وأنها ستأخذ التصويت، هن أربع عشرة يحتاجونني في التصويت للتعادل.

لا أدري.. شيء ما يخبرني أن أمتنع عن التصويت، لتعلـــو الأصوات من جديد، أرى ضوءًا يصدر من أحـــد البيـــوت، شخص ما يطل برأسه من النافذة ينظر نحونا ثم يدخل وتنطفئ الأنوار، علامات عدم الاكتراث التي أصابت وجهه أصـــابتني بالحيرة، أعتقد أن اجتماعنا في هذا المكان وفي هـــذا الوقـــت المتأخر أمر يدعو للحيرة لا لعدم الاكتراث.

السوداء تتجه نحوي، تأمرني بأن أصـــوت، لا تعلـــم أني لا أدري على أي شيء يجب أن أصوت، لكني أعطـــي صـــوتي للسوداء فهو الصواب دومًا.

مازلت أشعر أن هناك ما يتحرك أسفل العربة، يبـــدو أنـــه خائف.. أتجه مرة أخرى نحو السيارة أبحث تحتها.

استدرت حينما شعرت بحركة ما خلفي لأجـــد شخـــصًا مذهولاً يقف وينظر لهذا الجمع.

وجدته يلتفت إلينا كلما خطا.علامات الرعب بادية علـــى وجهه.

نظرت إلينا السوداء ثم قالت:

- "هجوووووم!".

جرينا جميعًا نحو الرجل الذي كان يمر منذ دقائق، رآنا ونحن نتجه نحوه، وقف وعلى وجهه علامات الخوف، ركل إحدانا فطارت إلى الخلف، وضرب الأخرى بكلتا يديه، لكن الباقيات هجمن عليه فخمشته إحداهن بأظافرها في قدميه، وقفزت الأخرى إلى عنقه وعضته، بدأنا بالتهامه إلى أن مات. في هذه اللحظات تركناه.. نظرت إليه مرة أخرى ثم.. لعقت فرائي وأكملت طريقي في هدوء.



ميـم لا تساوي أنا



حينما مرت أصابعه على حروف اسمه المنحوتة برداءة على تلك الصخرة النائية، أدمى حرف الميم البارز إصبعه السبابة وكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر الوهم الذي يعيش فيه.

في تلك الليلة قرر أن يبني سورًا بينه وبين الجميع، ولأنه لا يستطيع أن يكون قبيحًا فقد قرر محو حرفه المشترك.

قرر أنه لن يهتم بمشاعر من لا يهتم به، ولأنه قرر أن يصير وحيدًا فقد مرت عليه السنون بطيئة، صار يكبر في السنة الواحدة عشرًا، في سن الثلاثين طلبت منه من تمثل دور الشريكة.. بديلًا له، لأنه صار "خردة" لا يملأ عينها في الفراش، لكنها طلبت منه أن تظل حياها مسئوليته؛ فهي لا تأمن غيره على نفسها.

تقبل – عن طيب خاطر – أن يبحث لها عن بديل مناسب، وظل يغدق عليهما بالمال، وحينما مات ورثه أبناء ليسوا من صلبه ولا يعرفون لنفسهم أبًا سواه، أما هو فلم يحزن عليه إلا طفل عابر بنى بيته من حجارة صخرة نحت عليها اسم تم محو أول أحرفه بدماء جافة.

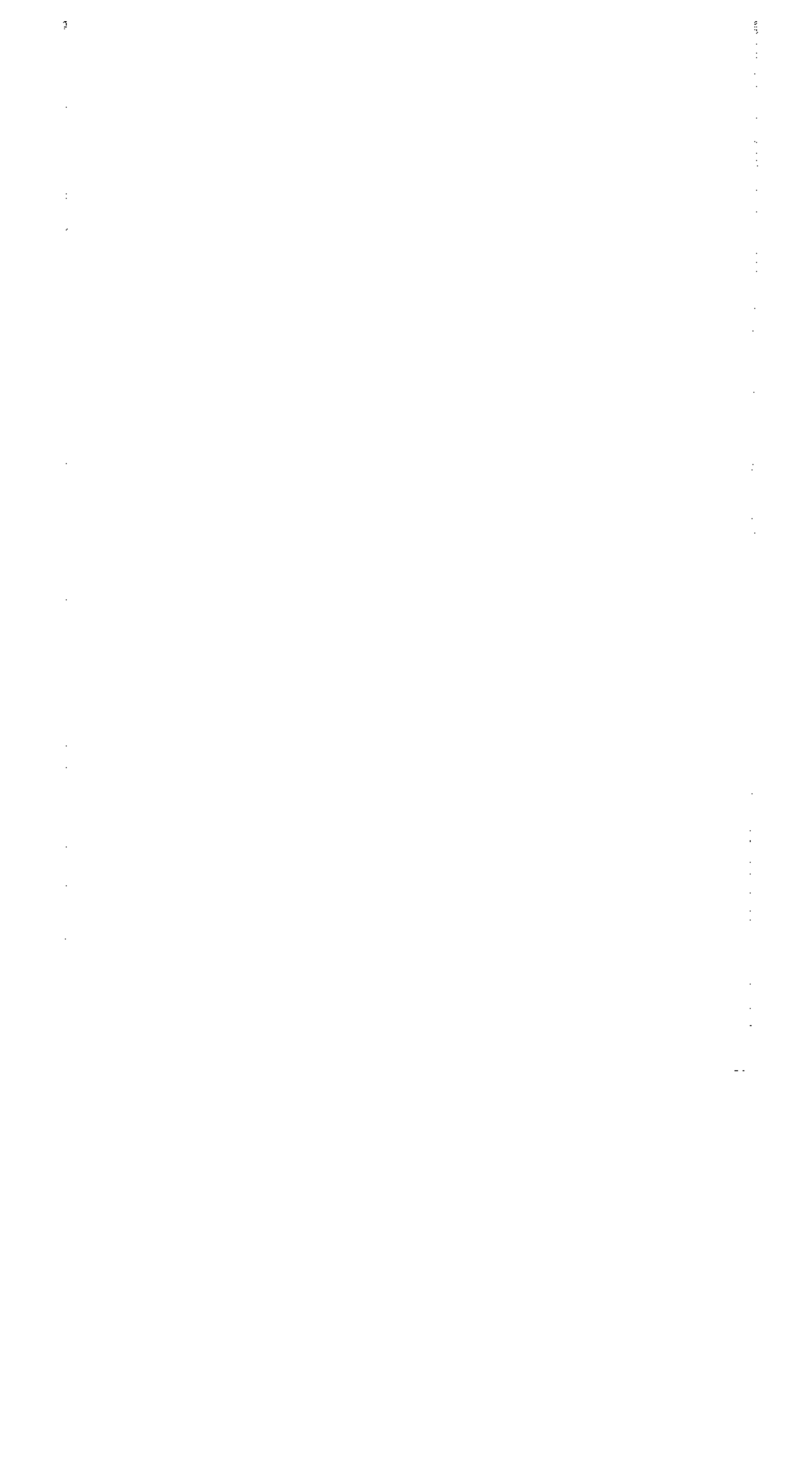
وقت التحية

البس قناعك

وابتسم

وانحني

وقت التحية



انفجار جديد من سلسلة الانفجارات المتتالية التي بدأت منذ فترة.

وقد صرح مصدر مسئول أن منفذ العملية قـــد انفجـــر في الحادث، وصرح أيضًا أنه قد تم احتواء الحـــادث، وأن عـــدد الإصابات.........................

***

مسحت قطرات العرق التي تفصدت على جبيني بالمنـــديل، أخذت أتطلع في أعين من يركبون معي الأتوبيس .

مع ذلك الزحام الشديد لم أستطع الحركة بسهولة؛ حولت رأسي إلى الناحية الأخرى ونظرت للعالم.

فجأة توقف الأتوبيس وتدافع بعض النـــاس مـــن حـــولي، تحسست جيبي.. آخر عشرة جنيهات لهذا الشهر، تبدو كقطرة

ماء في صحراء قاحلة، نظرت إلى بنطالي من نوع الجينز وذلك "التي شيرت" الذي أرتديه، وتبسمت في حسرة..

قلبي يخفق بشدة كلما اقتربنا من محطة نزولي، لا أدري ماذا أفعل؛ فهـــو الاختبـــار الأول لي، تـــدافعت في عقلـــي آلاف الاحتمالات لما قد يحدث، هل سأنجح؟

ربما أفشل لسبب بسيط لم أضعه في حـــساباتي.. العـــرض يجب أن يكون أقوى عرض أقدمه في حياتي.

لقد تم إخراج هذا العرض آلاف المرات، لكن هـــذه المـــرة رؤية وطريقة مختلفة.

ظللت أحلم بتحية العرض التي لم أرسمها بعـــد؛ تركتـــها للظروف فأنا المخرج والمنتج والممثل الوحيد في هذا العرض.

***

شوف ف العيون المعجبين

كل الفرح

انسى للحظه اللي باع واللي جرح

واللي فتح قلبك لطوفان الجراح

واللي استباح

ضحكتك

واللي سرق من بين خطاويك سكتك

وظلم أمله سكتك

***

حانت اللحظة؛ فقد جاءت محطتي.. حملت حقيبتي الصغيرة وهبطت.

أجبرت نفسي على المضي قدمًا، اتجهت نحو ذلك الباب مباشرة، وقفت أمامه، نظرت طويلًا، وضعت الحقيبة التي معي على الأرض، نظرت إلى الباب مرة أخرى، تدافعت برأسي الكلمات..

– "هيا أكمل ما انتويته".

تذكرت نظرات أمي لي هذا الصباح وهي تقول لي:

- "مستقبلك يابني.. انتبه لحياتك بقى"..

كلام أصدقائي وهم يخبروني أن ما سأفعله هو المستقبل وهو ما سيرفع من شأني.. كلام كثير تدافع في رأسي كرصاصات

مدفع.. لا أدري لماذا دمعت عيناي، نظرت حولي، لم ينتبه إليّ أحد، تركت حقيبتي وانصرفت.

ظللت أسير بلا هدى، لم أستطع اتخاذ القرار.. هل أكمل أم أنتبه لمستقبلي؟... يمكنني أن أكمل وأنتبه لمستقبلي.. هل أستطيع حقًا؟

***

وتوهة ساكنة خطوتك

وحزن فاتح لك دراعه

ما مل يوم من ضمتك

من تاني راجع للخريف

لدنيا مكسية بناس

والوحدة فيها شيء مخيف

***

خطوات بلا هدى.. المهم أن تسير مبتعدة عن المكان. نظرت حولي.. اختفى كل شيء؛ أصبحت حبيس أفكاري وظلت الكلمات تترد كالطاحونة:

-"ما ذنب هؤلاء؟... ما ذنب هؤلاء؟... ما ذنب هؤلاء؟".

أحاول العودة مرة أخرى، مازال هناك وقت، خمس دقائق.. من الممكن أن ألحق بالعرض قبل أن يبدأ.. يبدو أنني قد سرت كثيرًا.

أنفاسي تتلاحق، قدماي لا أستطيع رؤيتهما، جسدي يرتجف بعنف، ها هي حقيبتي أمامي، أتجه نحوها، باقي من الوقت دقيقة.. أنحني عليها.

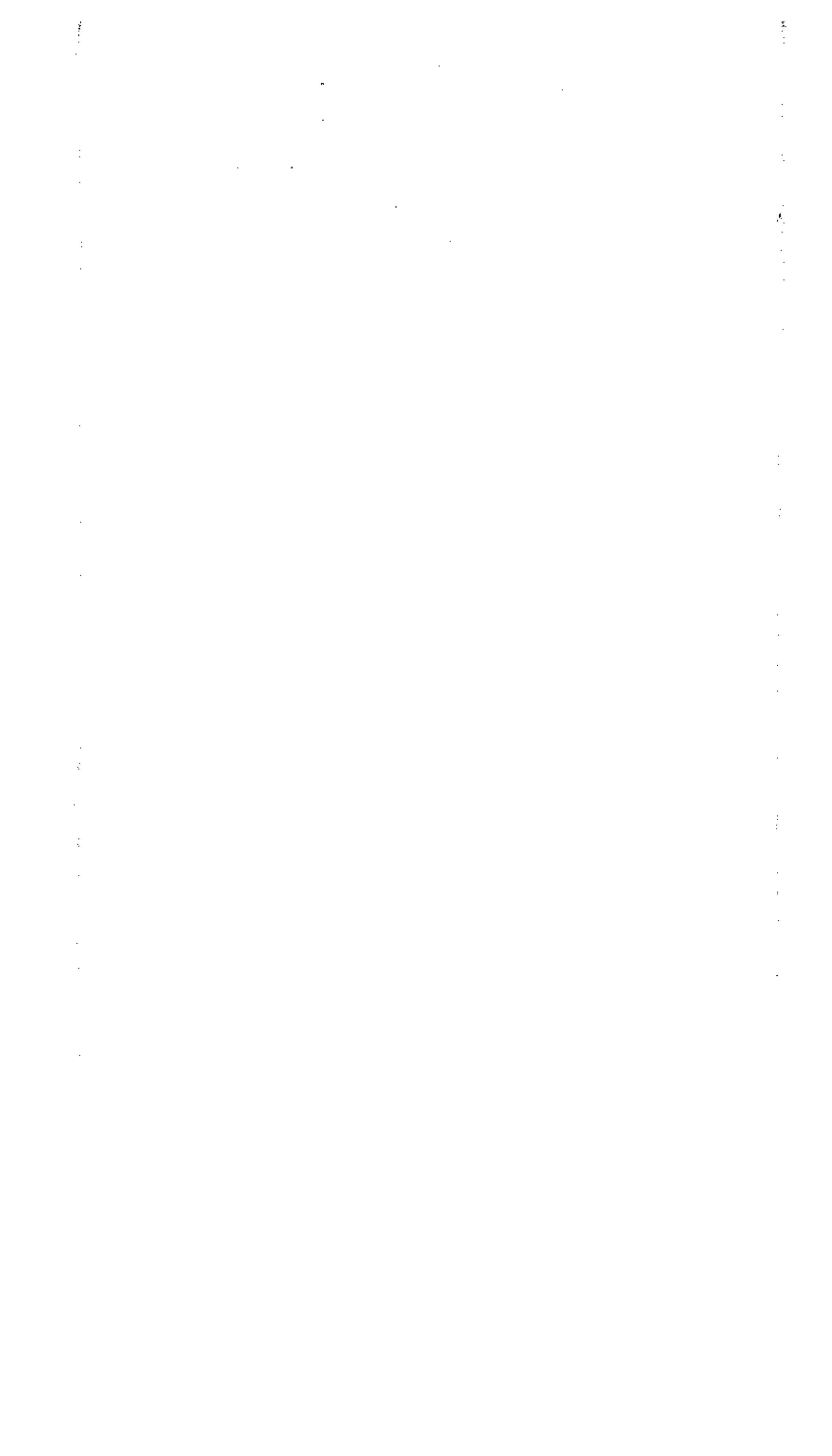
***

واحلم في نومك بالنهار

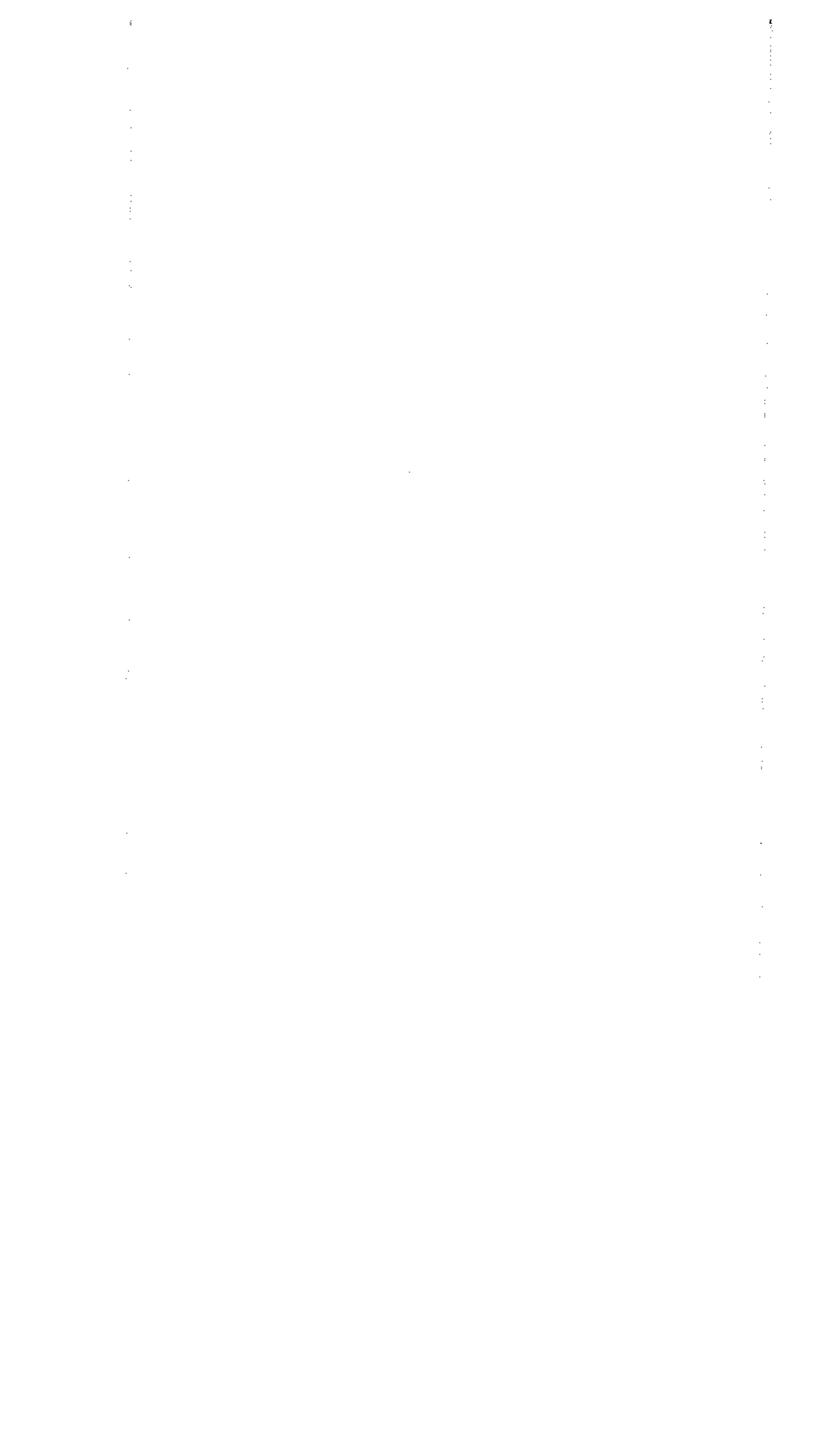
بدنيا من غير التحية

بدنيا من غير الستار

*** شكر خاص للشاعر (علاء نصر) على سماحه لي باستخدام بعض الأجزاء من قصيدته "مشخصاتي".**



ومازلت أحبها



بينما أنا في مكاني الأثير على المقهى، مع سيجارتي التي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وكوب الشاي الساخن، وضعت القلم على الدفتر الخاص بما أكتب.. أبحث عن فكرة مجنونة أخرى من أفكاري التي لا تنتهي.

حينما مرت أمامي لم أستطع إيقاف خفقان قلبي، ولا ارتعاشة يدي.. ولا أن أسترق النظر إليها، سحابة الدخان التي تلتف ببطء حول عقلي المريض.

أخذت أسترجع ذكريات قد ولت منذ أمد بعيد، حينما كانت تمر من أمامي يوميًا في المقهى.. ابتسامتها الخفيفة، روحها المرحة عندما كنت أراها ذاهبة إلى الجامعة، أخطف نفسي خطفًا من على هذا الكرسي لأذهب أنا أيضا.

- "تطلب حاجة تانية يا أستاذ عمر؟".

- "شيشة كريز يا حمادة".

- "من عنيا يا أستاذ عمر".

ربما جاء دخان الشيشة بالفكرة التي لم أجدها حتى الآن.

أخذت أمر بعيني في أوجه من هم معي على المقهى؛ علّي أجد تلك الفكرة الهاربة.

نظرت حولي مرة أخرى، وجدتها عائدة.. لم أخجل هذه المرة من أن أملّي عينيّ منها، مازالت كما هي، تحمل ذات الوجه الطفولي، تلك النظارة على وجهها، طابع الحسن على خديها، مازالت كما هي لم تتغير كما لم أتغير أنا على هذا الكرسي.

جاء صبي القهوة يحمل الشيشة:

- "قوّم لي الحجر والنبي يا حمادة".

- "حاضر".

- "هات لي مبسم بقى يا حمادة".

- "سلامة نظرك يا أستاذ عمر! المبسم على الشيشة أهو".

مازالت تلك الفكرة تأبى أن تأتي، أسحب نفسًا عميقًا من تلك الشيشة، يرسم الدخان الصادر من أنفي وفمي رسومًا عشوائية، تتداخل جميعها لترسم تلك اللوحة السريالية في عقلي المظلم.

- "مش عاوزة أظلمك معايا، خلينا أصحاب أحسن".
- "ده آخر كلام؟".
- "آه".
- "زي ما أنتِ عاوزة".

ألقيت بأوراقي وأقلامي أرضًا، لا أدري ما الذي دهاني، هل لأنها مرت من أمامي تجعلني أفكر فيها هكذا؟ كل هؤلاء الناس من حولي لم يجعلوني أتوقف عن التفكير.

ما الذي يجعلني أفكر كل هذا الوقت فيها، وهي تنعم بالهدوء وعدم التفكير؟ ما الذي يجعلني أنشغل عن حياتي هكذا؟ أظل كل هذا الوقت أفكر وأفكر و أفكر...

لكني في هذه اللحظات وجدت الفكرة التي كنت أبحث عنها.. فكرة لم تخطر بذهني من قبل.

لملمت أوراقي من على الأرض، وخططت أول كلماتي.. انسابت الأحرف من بين يدي لأكتب قصة حب فيمن أحب.. علها تقرأها، علها تحس بقلبي...

علها تدرك أني...

مازلت أحبها.



حجر أساس

بعد وفاتها ستبدأ أولى معاركك وحيدًا، تعلم هـذا جيـدًا وترتجف لمجرد تذكره.. تمضي الليالي في سريرك، تتقلـب مـن جهة لأخرى، وحين يغلبك النوم تمد يدك لتحتضنها، لكنـك تصطدم بالفراغ الذي خلفته ورائها.

الذكريات تخنقك بعض الشيء، تغالب بعـض الـدموع وتذهب لطلب المغفرة منها، لا تعير تلك المتشحة بالسواد أدنى انتباه، حتى حينما توجه لك الكلام تنظر لها نظـرة خاويـة لم تتغير من على وجهك منذ أمد غير بعيد. أخبرتك أن أختـها توفيت بسببك، أنك لا تملك أدنى ذرة من الرحمة في قلبـك. تتركها وتمضي.. فقط تذكرت أنك نسيت أن تقرأ الفاتحة على روحها.

في العمل تسمع الهمسات عن الخبال الذي أصابك، تتزايد الهمسات بعد مرورك؛ تخشى الآن مواجهـة العيـون فتتـرك الشركة لشريكك يديرها وحده.

الشيخ الذي جلبوه لكي ينصحك ظل يتحدث كثيرًا عـن قضاء الله والأعمار، وعن توقف الحياة وأن الله لم يأمر بهذا؛ الله أيضًا يا شيخ لم يأمر بتكليف النفس فوق وسعها.

بعد أن طردت أهلك وهذا الشيخ وصديقك، تقف وحيدًا في الحمام تمسك بتلك الشفرة، لكنك أجبن مـن أن تقطـع شريانك لذا تلقيها وتبكي.

تذهب لأخت زوجتك.. تريد رؤية الطفل الذي بلغ ثلاث سنوات الآن، تنظر لوجهك بمقت شديد وتنادي على الطفـل الذي ينظر لك خوفًا.. لا تدري هل هو ولد أم بنت وتخـشى أن تسأل. يداهمك الضيق فتطلب الإذن بأن يخرج معك قليلًا.. هل تنوي التخلص من سبب الأزمة حقًا؟

وأنت تقف على الكوبري الشهير وهاتفك النقال يـدوي دون مجيب، تنظر له، صاحبت إحدى يداه قطعـة شـيكولاتة والأخرى يدك، فجأة يسحب يده، يجـري، الحمـاس لـيس كافيًا.. ولم يكن ذنبك أن دهسته تلك السيارة المسرعة.

تجلس الآن على هذا الكرسي المتحرك وقد أصابك الشلل، لم يصبك الموت.

كلاهما يزورك الآن، ملامح وجهك التي تغضنت، جسدك الذي نحل، عمرك الذي لم يتخطّ الأربعين، لم يجعلهما ينفـران منك. تضحك على (قفشة) من (القفشات) التي ترويها لـك كعادهما، تبتسم وأنت تشاهد طفلك ينمو يومًا بعد آخر، لذا لم تعد تتحدث إلا معهما.

بعد مرور الزمن ستظل هكذا، سينساك الجميع.. ستسهو تلك الممرضة وتنسى ميعاد دوائك؛ تلاحظ أنهما يدعوانك لتلم شمل العائلة، ستوافق على الفور..

لكنك ستصدم بأن الممرضة أفاقت في تلك اللحظة واستدعت طبيبك الخاص.

حتى لا تغرق تيتانيك



على مائدتنا المستديرة نجتمع، تلك الزجاجة الفارغة الـــتي تدور حول نفسها تتجه قاعدتها نحو شخص ما ورأسها المدبب نحو شخص آخر، السؤال يتلو الآخر. اتجهت قاعدتها نحـــوي ورأسها نحوها تداعب عويناتها بنوع من العصبية بعد أن وقعت في فخ السؤال.

كانت تنتظر سؤالي بنوع من العصبية الواضحة، نظرت لها طويلًا ثم سألتها:

- "إيه رأيك في الحب؟".

تلعثمت في الرد قليلًا ثم أجابت بنوع من التحفز:

- "ماجربتوش عشان أحكم عليه!".

***

أخذا يجريان سويًا على سطح السفينة الغارقة يحاولان الهرب من قدر محتوم عليهما، يضمها بين ذراعيه، يخبرها أنهما سينجوان، يضعها في قارب الإنقاذ، ينظران إلى بعضهما، يعرفان أنهما ربما لا يلتقيان مرة أخرى.

***

مازالت اللعبة مستمرة تلك الزجاجة مستمرة في الدوران الأسئلة تتوالى، ثم حان وقتها في الانتقام.. كان عليها أن تسألني الآن حان دورها:

- "إيه رأيك أنت في الحب؟".

كان السؤال مفاجئًا لي، لم أتوقعه.. كنت قد جهزت نفسي بقنابل موقوتة لتفجيرها في وجهها ولكنها كانت قد جهزت تلك الصفعة.

***

تقفز من سطح قارب الإنقاذ إلى داخل السفينة مرة أخرى، تجري نحوه، يجري نحوها، يلتقيان.. مشاعر جياشة. يخبرها أنها غبية، وتذكره بوعدهما معًا.

***

مازلت أفكر في الإجابة لا أعلم ماذا أقول...

- "أنا ما قابلتش الإنسانة اللي تستاهلني لحد دلوقتي عشان أعرف".

***

السفينة تغرق.. يطلب منها أن تمسك بيديه بقوة لأن هــذه السفينة ستسحبهما معها إلى الأعماق، يخبرها أنهما سينفصلان عن جسد السفينة.. تبحث عنه لا تجــده بجوارهــا. "تنــادي عليه"..

***

انفضت الجلسة.. الجميع يخرجون.. مازلــت أجلــس في مكاني أسمع صوت دقات كعب حذائها على أرضية الحجــرة، أنادي عليها.

تلتفت إلي بنوع من الحذر، أشــير إليهــا أني أريــدها في موضوع ما أتجه بخطوات بطيئة رتيبة:

- "أنا باحبك..!!؟".

أنظر إلى ارتعاش يدها.. قلبي يدق بعنــف، لا أدري مــاذا أفعل، اختفت من حولي معالم الحجرة، صرت أنا وهي فقط.

مادت الأرض من تحت قدمي، عدت لأرض الواقـــع مـــرة أخرى، أولتني ظهرها، أسمع صوت دقات كعبها على الأرض، أتجه إلى ذلك الكرسي الملقى بإهمال في ركن الحجرة...

وأجلس عليه بهدوء.

ثم ماذا بعد؟؟!!



وقف في الجانب يتطلع لهذا العالم الجديد، أخبروه أنه سيجد جميع الأصناف، لكنه يبحث عن صنف بعينه.

تأملته كثيرًا، تعرف هذا النوع منهم. تحبهم وهم هكذا، أما وهم ضخام يتفاخرون بفحولتهم فتخشاهم كما تخشى الذئاب التي تربت معها.

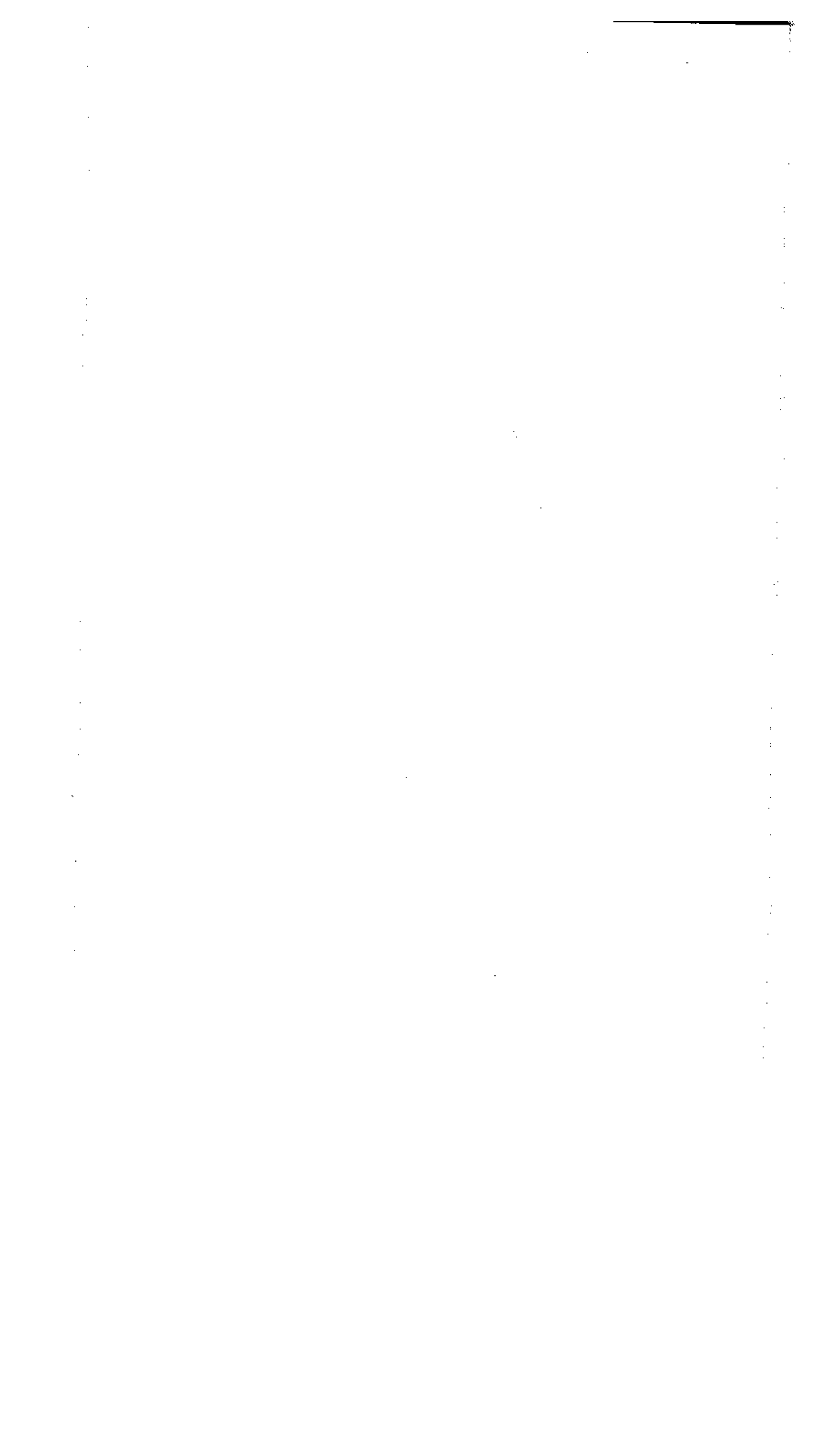
لم يرفع عينه عنها لحظة، جسدها الفائر، ملابسها المثيرة لهواجسه.. تأكد أنها النوع الذي يريده، اتجه نحوها.

ابتسمت له مشجعة، ففرصة الحصول على (زبون) هذه الأيام نادرة؛ تقدمت نحوه محتفظة بطريقة مشيها كي تقتل آخر فرصة للمقاومة لديه.

وقف يتطلع إلى النيل وهو يحكي لها عن نفسه، قام بالـــدفع كما يفعل الجميع، لكنه لا يحتاج لمن تتأوه تحته.. يحتـــاج لمـــن يستمع له.

نظرت لملامحه طويلًا، لم تكن تهتم بما يقول لكـــن النـــبرة نفسها ألجمتها.

خمسة جنيهات



تطلع كثيرًا للشاشة المظلمة لهاتفه، وضعه بجـوار سماعـة الكومبيوتر حتى يعرف بقرب الاتصال أو الرسـالة.. تطلـع حوله،شعور سيئ يلازمه جعله غير متزن في طريقة تفكيره التي أثرت على قراراته مؤخرًا.

لا يدري لم انسحبت من حياته بهذه الطريقة؟

فكر كثيرًا وهو يتذكر الأحداث الكثيرة بينهما. كلما شعر بالسوء أرادها بجواره لكنها لم تبالي. حتى أصـدقاؤه جمـيعهم سقطوا منه في دوامة حياتهم ومشاغلهم.. صار وحيدًا وشعور من الاغتراب يسكنه.

"كل يوم بتثبت لي إنك أفضل صديق ممكن أعتمد عليه".

انتهى من قراءة بعض رسائلها القديمة على هاتفـه، أراد أن يثبت لنفسه أن الصداقة انتهت فمسح الرسائل ورقمهـا مـن على الهاتف، لكنه ترك رسالة واحدة.

بعد إرساله تلك الرسالة ظل منتظرًا الرد، وحينما سمع صوت تداخل الموجات على سماعة الكومبيوتر نظر طويلًا للرسالة القادمة والتي تخبره أنه تم تحويل خمسة جنيهات له من أحد الأصدقاء.

سقوط متأخر قليلاً



(١)

حاول عم (إبراهيم) أن يوقف الأطفال اللـــذين يقذفونـــه بالحجارة، لكنه لم يفلح. ظهر شخص ما ونَهَرَ الأطفال متوعدًا إياهم؛ ففر الأطفال مسرعين.

مضى عم (إبراهيم) في طريقه وخبط الرجل كفيه قائلًا:

- "سبحان الله!".

(٢)

استند على الجدار القديم في البيت الخاوي..

كثيرًا ما يأتي أحدهم ويأخذه من هنا قائلًا بأن البيت متداعٍ وسيسقط في أي لحظة.. يعود في كل مرة ولا يسقط البيت.

(٣)

ظل يفتح المقص ويغلقه عشرات المرات قبل أن يقص أي شعرة، نهره الجالس قائلًا:

- "هاتجيب الفقر للمحل باللي انت بتعمله ده، والله ما عدت أخليك تحلق لي تاني".

أسرع في الحلاقة على الرغم من أنه يعلم أن الآخر لن يجعل أحدًا غيره يحلق له.

(٤)

وهو مرتكن إلى الجدار، استرجع ذكريات مضت..

محل كبير، ضجة، أشياء ملقاة على الأرض، تحوُّل بشنطة حقيرة وجيران قدامى يعطفون عليه.. على الرغم منه هبطت دموعه غزيرة..

- "انت بتعيط كده ليه يا عمو؟".

نظرة مستغربة.

- "على حالي يابني".

وجد ظلًا ضخمًا يحمل الطفل وينهره..

- "ماتقربش للراجل دا تاني".

- "ليه يا بابا؟".

- "دا الراجل اللي كان قطع ودن واحد وهو بيحلق له".

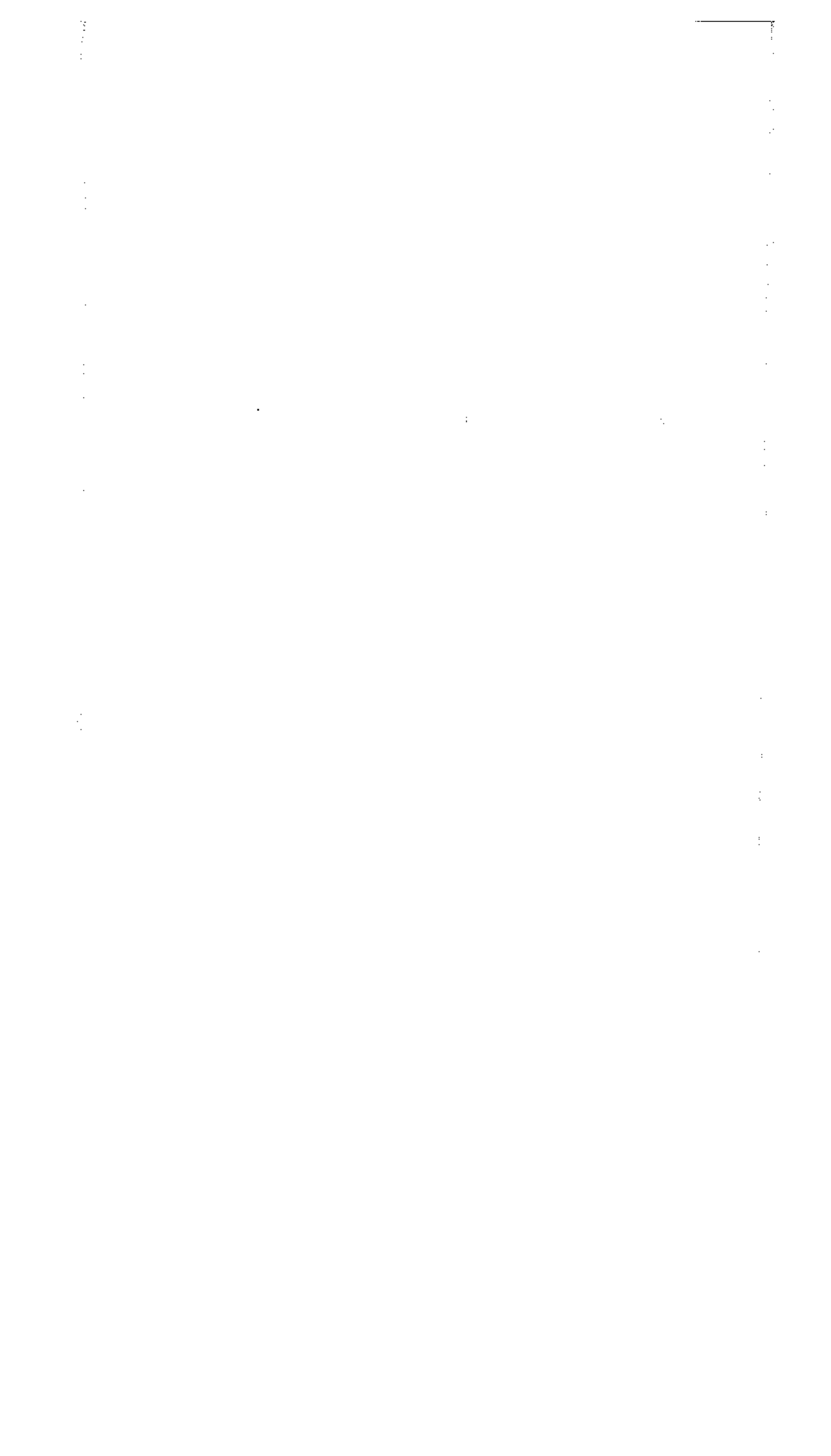
(٥)

تمنى عم (إبراهيم) أن يسقط البيت على رأسه، لكن شيئًا لم يحدث. حمل حقيبته ومضى خارجًا، سمع هذا الصوت الرهيب..

نظر خلفه..

سقط البيت..

انسحاب مؤقت



(١)

حاول أن يوقف ما يسكبه التلفاز في أذنـــه، لكنـــه تعلـــم الدرس هذه المرة فلن يذهب ويغلقه ويتعرض للعقاب من والده المتابع لما يدوي.

المذيع الأنيق يتحدث لكنه لم يثر انتباهه؛ فكلمـــات مثـــل (فلسطين – احتلال – عراق – بغداد – مقاومة ..إلخ) لم تعد تثير لديه أي عاطفة، لكن إصرار والده على المتابعة هـــو مـــا يستفزه.

في المدرسة أخبره زملاؤه أنهم سيقومون بمظاهرة ويحرقـــون علم إسرائيل، ابتسم بهدوء وذهب لإخبار أبيه المدرس بالمدرسة نفسها.

(٢)

ملأت الابتسامة وجهه وهو يتابع أحداث هذا الفيلم المشوّق، ليقطع انتباهه تداخل الصورة بصورة أخرى للمذيع الأنيق ذاته.

أصر والده على أن يلبس "الجاكت" الأسود؛ فالجو كما يقول "بارد جدًا".

سخر جميع زملائه من "الجاكت" القديم.. قاوم دموعه وفي نهاية اليوم تعمد أن يشتبك كم الجاكت بذلك المسمار البارز من حلق الباب.

(٣)

المذيع الأنيق بابتسامته السمجة، والأفلام القصيرة التي تعرض مع صوته ما يحدث في أنحاء البلاد..

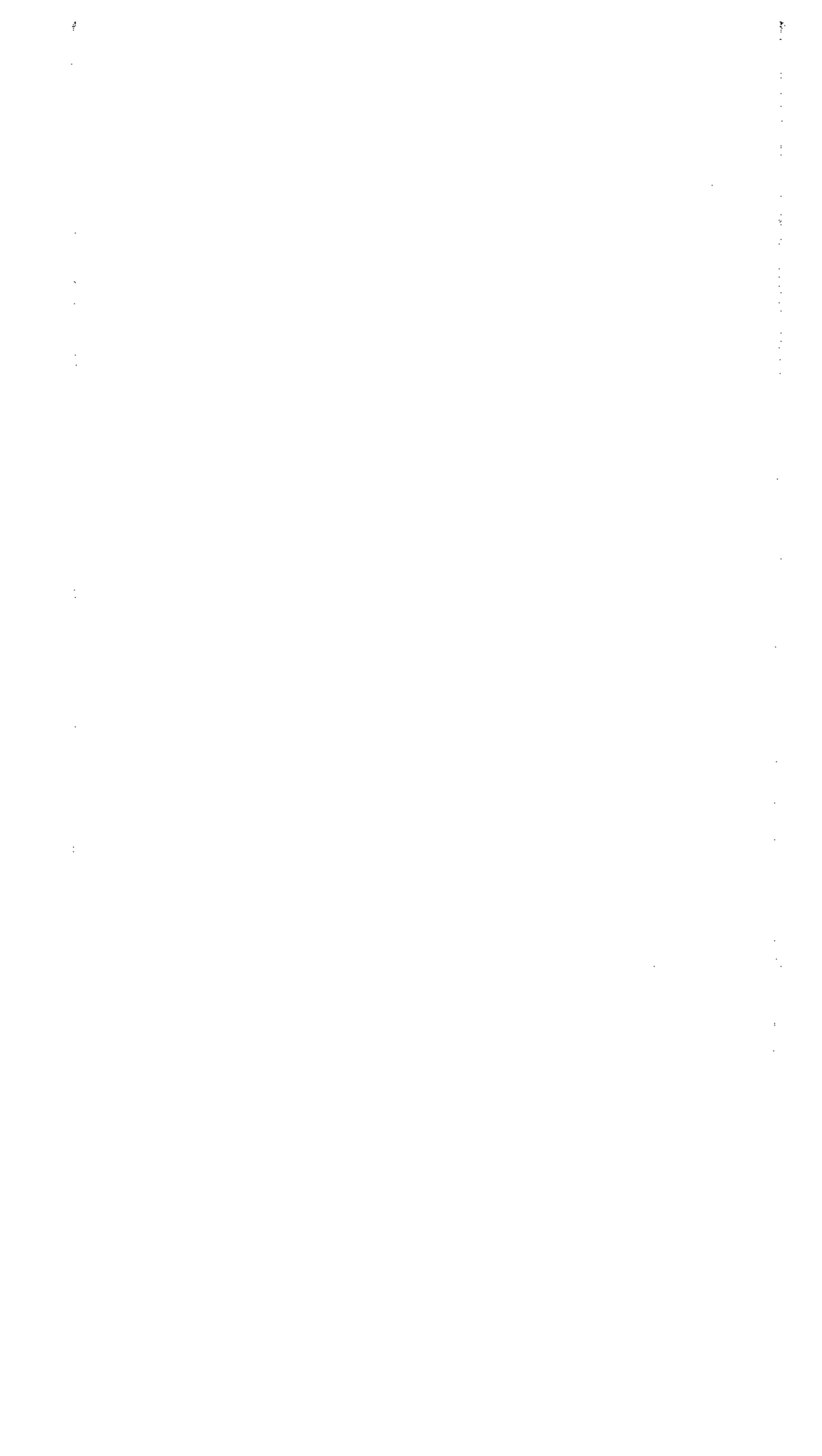
سمع والده يقول:

- "أمريكا دي مش ناوية تجيبها لبر. تعرفي؟ بيقول لك قبضوا على شوية عيال كانوا عاملين مظاهرة النهاردة.. البلد باظت! بقى شوية العيال دول هما اللي هيحلوا الأزمة؟ مع إنهم

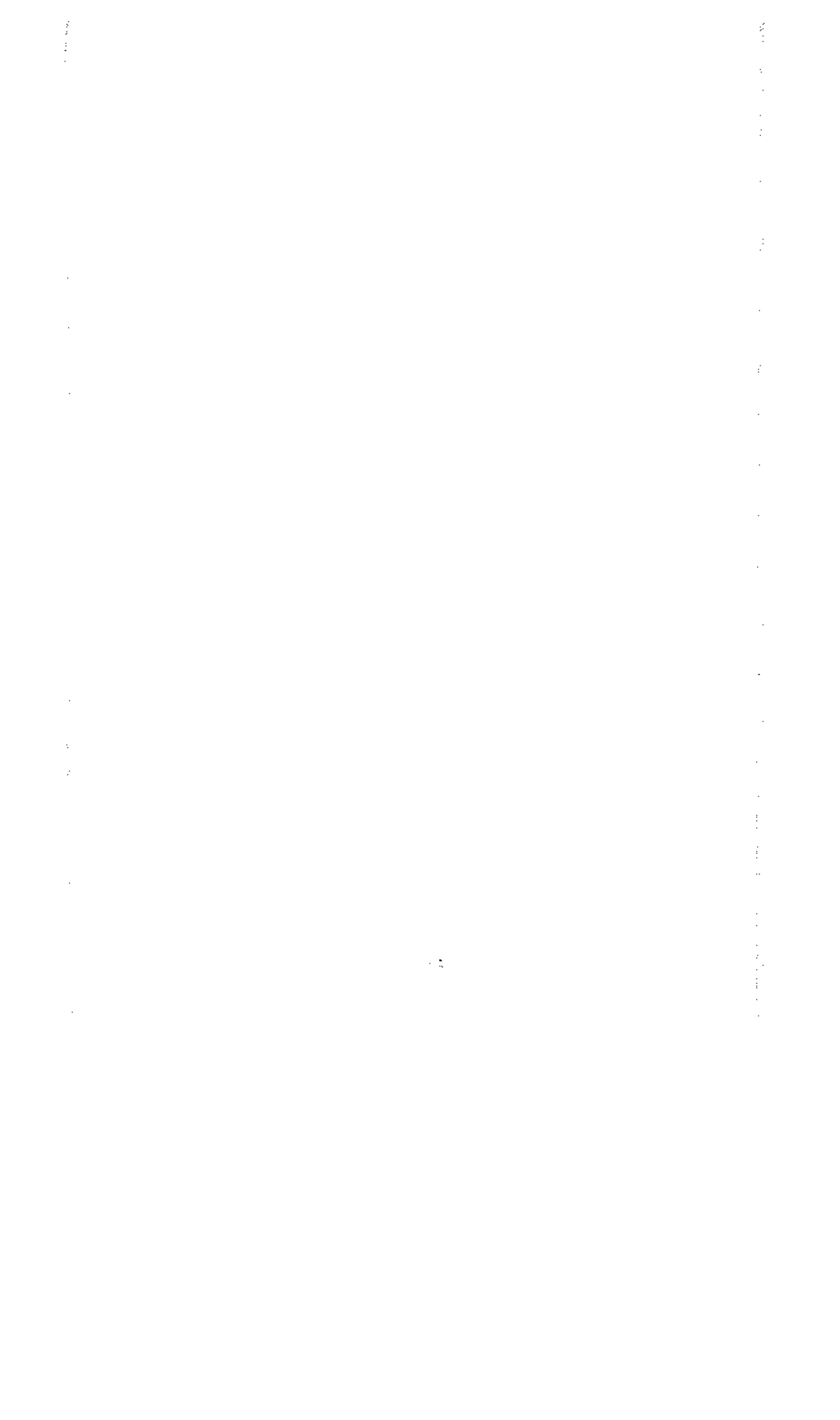
شوية عيال بايظين، تخيلي إنهم ولاد وبنات باتوا تلاتّ ايام في الشارع! بنات مش لاقية اللي يربيها.. باقولك إيه؟ بطلي وجع دماغ وقومي جهزي الأكل عشان أتخمد شوية".

(٤)

ذهب في هذا اليوم إلى شرفة الشقة، والده بالداخل يستمع إلى المذيع نفسه. أخرج المقص من جيبه وقطع سلك الهوائي.



بالتة مزيكا



تداخل

حينما انسكبت ألوانها فوق الأورج الخاص به لترسم هـــذا القلب، طلب منها ألا تعتذر لأنـــه صـــار أفـــضل جـــزء في "الأورج"، حينها تبادلا أرقام الهواتف.. سألته عـــن رأيـــه في لوحاتها أجابها بشرط أن تخبره برأيها في ألحانه.

قطع أول

مع عزفها على الورق، كانت تضع خلفية موسيقية قام هو برسمها.. دون أن تدري وجدت نفسها ترسم موسيقاه. لكنها خبأت اللوحة وأطفأت الموسيقي.

امتزاج

طلب منها أن تحضر إلى الأستديو، هناك عزف لها لوحتـــها مرة أخرى . قررت أن تهديه لوحة رسمتها مـــسبقًا. تـــدخلت موسيقاه مع رسمها في امتزاج سرمدي.

نهاية أولى

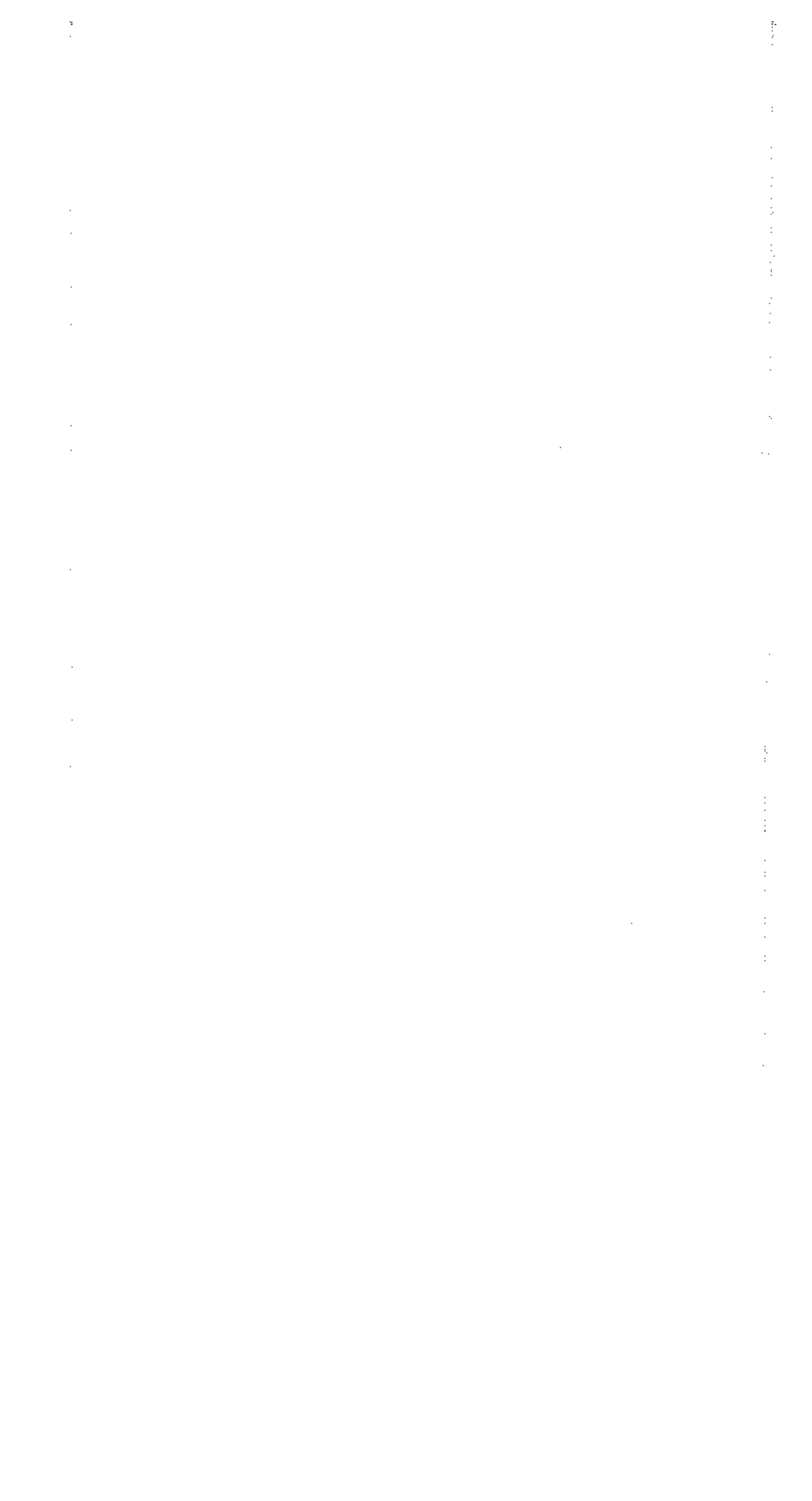
بعد أن وضع الرتوش الأخيرة لموسيقى زفافه، نظـــر مـــرة أخرى إلى "كارت" الفرح الذي صممته، تمنى في تلك اللحظة أن يعيش معها طوال العمر.

قطع ثانٍ

ظلت تستمع كثيرًا إلى معزوفته الأخيرة الخالية من رسمهـــا، حينما طلبت منه تفسيرًا، سألها عن اختفاءألحانه من رسوماتها.

ربما تكون نهاية

بعد انتهاء كل شيء أنهت لوحتها لتجد وجهــه يطالعهـــا وسط معزوفتها، وحينما شاهدته في تلك الليلة علـــى التلفـــاز يعرض آخر مقطوعاته وجدت نفسها بداخل لوحاته.



حديثُ الطريق

العربة تنهب الطريق، السائق يود الخلاص مني ومن حملي الموجود في أرضية الكرسي الخلفي في هذا الوقت المتأخر من الليل. أشعر باختناق شديد، فجأة يخرج صوت أغنية ما من جهاز التسجيل ما يلبث السائق أن يطفئه سريعًا.

- "معلش يا باشا! هو خربان وأنا مشغله من يجي ساعة"..

أشرت برأسي دون أن أنطق..

أنظر إلى جسد والدي الملفوف بذلك الغطاء، جسده الساكن دون أي حركة؛ يصدح هاتفي النقال بأغنية شهيرة، السائق ينظر لي شذرًا، اسم عمي يتلاعب على الشاشة أمامي.

- "ألو! أيوه يا ابني، عملت إيه؟".

- "في المستشفى مضيت إني استلمته حي، أنا على الطريق دلوقتي"..

- "تيجي بالسلامة يا ابني، شد حيلك وخد بالك"..

- "حاضر يا عمي"..

مشاعر مختلطة تتصارع بداخلي، أتذكر والدي وقسوته عليّ، كما أتذكر طيبته الشديدة.. تحتل القسوة وجهي للحظات ما يلبث الحزن أن يقتلها.

الضوء الأحمر يتصاعد من بعيد نذير شروق شمس يوم جديد، ليخرج صوت هاتفي مرة أخرى بأغنية أخرى، اسمها على الشاشة هي ما أحتاجه حقًا في هذه اللحظات.. أتمنى أن أرتمي بين يديها وأظل أبكي لساعات.

- "إيه الأخبار حصل إيه؟!"..

- "تعيشي إنتِ"..

لا أدري لماذا يغلفني البرود، على الرغم من اللهفة التي تتصارع بداخلي. صوتها يتلعثم، لتخرج همهمات غير ذات معنى.

- "ماتقوليش حاجة، أنا عارف اللي إنت عاوزة تقوليه".

- "ربنا يصبرك".

أغلقت الهاتف دون رد واضح لتظهر مشارف قرية أبي التي غادرها على قدميه منذ ثلاثين عامًا، وهاهو يعود لهـا اليـوم. عماي يقفان على باب المنزل، وما يلبثان أن يصبحا أمـامي، أحدهما يحدث السائق عن نقوده فيعلو صوته، أتجه إليهما، أزيح عمي، أنقد السائق أجره.

أحمل جسد أبي وأريحه على السرير الكبير بالغرفة الكـبيرة من المنزل، عمتاي تتهامسان وصوتاهما يصلان إليّ.

- "ولا كأن حاجة حصلت ياختي"..

- "قلبه جامد زي أبوه.. شوفي وشه جامد ازاي!".

- "آه.. هو أنا أنسى أبوه يوم ما جه شايل أبونـا علـى إيده؟"..

نظرت لهما ثم قلت:

- "لما ييجي الناس اللي هايغسلوه ابقوا نادوني مـن فـوق السطح"..

أتجه إلى سطح منزل جدي الكبير لأجد أختي الصغيرة تلعب هناك في أحد الأركان، الشمس سـطعت، أجلـس في ظـل

"الدش".. تأتي أختي بجواري، تمد يدها وتمسح دمعـــة تجـــري على خدي الأيمن ثم تسألني:

- "هو بابا مات بجد؟!".

منتهي الصلاحية

(١)

بعد أن أنهى ما وجده من فضلات، احتمى بهـــذا المـــدخل وافترش همومه.

(٢)

لأنه يخشى الصمت كان يتكلم في كل وقت حـــتى وهـــو نائم، لكن الناس ظلت تتجنبه.

(٣)

- "حتى الأشباح تخشاه..".

هكذا وصفه أحدهم لزميله مكملاً..

- "لكن نتركه لأنه يخيف اللصوص".

(٤)

بعد أن قتله الجوع وجد هذه الأكياس المليئة بالطعام المحفوظ، استمتع بطعمها و لم يلتفت كثيرًا لهذا الصوت الذي يخبره أنها منتهية الصلاحية.

أحداث مبكرة

ها أنتِ ذا تنهين الدراسة بينما أنا مازلت طالبًـــا، وبينمـــا تحاربين لأخذ مكانك في العمل الأكاديمي، أحارب أنا أعـــداء وهميين في إحدى المناطق العسكرية.. أخرج بعـــدها لأعمـــل مندوبًا في إحدى الشركات.

تستعدين الآن لدخول عش الزوجية -السعيد غالبًا- والذي أعدك أنني لن أكون بجوارك فيه، لأنني سأكون في حضن تلك المرأة المتزوجة والتي تعرفت عليها في إحدى المواصلات بعد أن سألتني عن شريط (فياجرا) لزوجها.

ستسافرين أنتِ وزوجك -الذي هـــو أســـتاذ أو أســـتاذ مساعد- لقضاء شهر العسل، سأسافر أنا الآخر لدولة نفطيـــة لأعمل عبدًا بالأجر عند أحد الأثرياء، والذي ربما يمتطـــيني -وسأقبل- نظرًا لظروف تتعلق بميوله الشخصية.

وقت أن تنالي درجة "الدكتوراة" سأعود ومعي بضعة ألوف أشتري بهم شقة في إحدى التجمعات السكنية وأعمل مندوبًا مرة أخرى.

لا أعتقد أن المصادفة فحسب هي التي ستجعلك تفتحين هذا الباب دون غيره لأعرفك ولا أعرف هل عرفتني أم لا.. وقتها ربما سأعرض عليك طاقم سكاكين حاد أو خلاط ذا ثلاث سرعات لتعتذري مني وتصرفيني بابتسامة دبلوماسية.

يومها سأعود إلى شقتي لألعن أحد أبنائي الذي يطلب مني (البلاي ستيشن تو)، ثم أسب زوجتي التي تطالبني للمرة المليون بزيادة المصروف. لا لن أضربها فقد وعدتك من قبل أنني لن أمد يدي على امرأة مرة أخرى.. بعد علمك بأنني ضربت أختي بعدما ضبطتها مع هذا الشاب في (الكافيتريا) نفسها التي كنا نجلس فيها.

في نهاية اليوم - والذي هو الخميس بالمصادفة - سأصالح زوجتي بالطقس المعتاد وبالرتابة ذاتها، بينما تتناولين أنتِ العشاء - الذي هو على ضوء الشموع - مع زوجك؛ ناسية أو متناسية حبيبك السابق.

Paradise



كعادته يوميًا يرتدي (اليونيفورم) يـسدفع عربـة القمامـة الصغيرة بطول الشارع الراقي ليجمع فيها ورق الشجر المتناثر.. يعرف كل المحلات الموجودة بالشارع والعاملين بهـا، كمـا يعرف شرطي المرور الذي يتغير يوميًا.

كعادته يوميًا يري ألوان اليونيفورم والكتابة الموجودة عليـه ولا يستطيع قرائتها.. كعادته يوميًا بعد صلاة العشاء يظـل في المسجد قليلاً ويقوم بالدعاء بوافر الصحة والهدايـة لولديـه، أحدهما غائب في بلاد الله -وربما يعود قريبًا- حتى يحصل علي القروش اللازمة لحياة أخري والصغير ينتظر يوميًا الدعوة الـتي سيرسلها أخيه له، مقاومًا بأنفاس متقطعة سبل غير مـشروعة للسفر.

كعادته يوميًا يمر علي المحلات التي لوثت شارعه الهـادىء، يقوم بالتنظيف أمام محلاتهم مقابل بعض الجنيهات التي تعاونـه

علي قضاء يومه.. يغض النظر والسمع عما يراه، يدعو الله لهم بالهداية والصلاح في سره ويمضي، يعذرهم فهم محتاجين.

هذا اليوم خالف عادته اليومية، حينما كان يقوم بالتنظيف في أحد المحلات، ثم نظر للفتاة التي تعمل بالداخل واستعاذ بالله في سره ثم سألها

" هو الكلام اللي علي ضهري دا يبقي ايه يابنتي؟"

أبتسمت وهي تنظر له ثم قالت

" دا أسم الشركة اللي انت شغال فيها يا حاج"

" أيوة أيوة أنا عارف.. اللي هيا ايه بقي؟"

"أه قصدك أسمها.. أسمها (بارديس)"

"ودا يعني ايه يابنتي؟"

أتسعت ابتسامتها وهي تقول

" الجنة ياعم (رضوان)، أنت شغال في الجنة"

ثم تركته وضحكتها لا تزال في أذنه.

في هذا اليوم الذي خالف فيه ما يفعله منذ ثلاثين عامًا عاد إلي بيته مبكرًا ليجد جمهرة ما حول منزله وصراخ لزوجته وخبر عن غارق في البحر كان في يومًا ما إبنه.

عن الكاتب

محمد عبد السميع: قاص ومترجم من مواليد مدينة دكرنس بمحافظة الدقهلية، عام ١٩٨٥/٨/١٥، طالب بالسنة النهائية بكلية اللغات والترجمة قسم الترجمة الفورية، عمل صحفيًا لفترة في مجلة الموقف العربي، وعمل بالعديد من دور النشر المختلفة، فاز في العديد من مسابقات القصة القصيرة مثل مسابقة ساقية عبد المنعم الصاوي ومسابقات الجامعة وبعض المسابقات الأخرى علي شبكة الإنترنت.

صدر له:

١- نشر له قصة في مسابقة بدايات العدد الثاني- حاجب جلالة الموت- تحت عنوان لحظات من الدفء.. عن دار ليلي للنشر

٢- القط الأسود وقصص أخري.. مجموعة قصصية قام بترجمتها لإدجار آلان بو ... عن دار ليلي للنشر

تحت الطبع:

رواية (بورنيطة).

ترجمة رواية (مقابلة مع مصاص الدماء).

للتواصل مع الكاتب:

mabdelsamiea@gmail.com

مدونة الكاتب:

http://altaeer.blogspot.com

الفهرس

